بقلم
د. عبدالله عزام

مأساة الفكر الغربي

ان المتتبع لكتابات الكتاب الغربيين وخاصة الكتاب الطليعيين أو رواد مسرح اللا معقول من الوجوديين ليرى العجب العجاب من القلق من خلال اسطرهم التي تفح بالآلام وتعتصر بالأسى.

ان اليأس، والقلق، الألم، الملل، العبث، التمرد، التمزق، المأساة، الشقاء، الصدمة.

هذه العبارات لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة من صفحات هؤلاء الكتاب.

اقرأ ان شئت للكاتب الفرنسي (كامي) مسرحياته:

ـ «الرجل المتمرد» ـ و (مسرحية : سوء التفاهم) و (مسرحية : حالة الحصار) يقول كامي (١):

«ينبغي الا نؤمن بشيء في هذا العالم سوى الخمر، ان صيحته هي: الموت للعالم، حطموا كل شيء، يجب أن نلغي كل شيء الالغاء والاطاحة هو انجيلي».

و يقول آرثر ميللر الامريكي (٢) في مسرحيته (بعد السقوط): «ان أكثر الاماكن براءة في بلدي هو مصحة الامراض العقلية، وكمال البراءة هو الجنون».

و يقول سلاكرو (٣) (الكاتب الفرنسي):

«ان الالهة لا عمل لها الا أن تعبث لحطام الانسان»

واقرأ ان شئت كذلك مسرحيات جان بول سارتر الفرنسي:

«جلسة سرية»، «موتى بلاقبور»، «الايدي القذرة»، «البغي الفاضلة»، «سجناء الطونا».

واقرأ من كتبه: «موته الروح، سبل العقل، عصر الحرية، الذباب».

يقول يونسكو الفرنسي (الواقع كابوس مؤلم لا يطاق) وطالع كتابه (قاتل بلا أجر) (٤) والموت هو

كلة المشاكل في نظر الكتاب الغربيين فالموت ر الرعب لانه واقعة فظيعة في حد ذاتها، بل ه يجعل كل الحياة التي سبقته عبثا وسخفا ما يقول صموئيل بكت في كتابه (الايام عيدة).

فاليأس والعبث والالم والقلق هو عنوان الحياة اربية.

يرى هيدجر: ان الحياة الحقة تكون في أس.

اما سارتر: فيرى ان الحياة الحقة تكون فيما راء اليأس.

يقول سارتر: «الانسان في صميمه قلق».

ا نيتشة ـ الفيلسوف الالماني ـ فيرى أن نسان بين التسليم والتمرد فوجوده تمزق وسلب و فريسة لعالم اللا معقول ولا يجد الخلاص بالجنون الذي يخلصه من تعاسته الحاضرة، رى نيتشة أن اليأس والقلق شرطان دائمان لمة الانسانية.

أما كيركجارد: رائد الفلسفة الوجودية: فيقول: الوجود معناه: أن نعاني اليأس والقلق حتما، من يختار اليأس يختار ذاته في قيمتها الابدية، ذا نجده قد حاول الانتحار مرارا، ان الوعي هر دائما في صورة القلق وأما اليأس فهو الحد ي يفضي اليه، لقد بقيت الكآبه القاتلة ملازمة ركجارد حتى الموت.

هناك عنوان لاحد كتبة (الخوف والرعدة).

وعنوان لبحث له (اليأس أو: المرض حتى وت) (٥).

هذه هي الملامح الرئيسة للعالم اليوم، والتي رز واضحة مجسدة في معطيات كبار الكتاب فكرين والادباء، فوضى تأخذ بخناق العالم ثر كل ماتبقى فيه من نظام، وتسعى الى ريق بقايا خيوط العنكبوت من القيم الغربية، انسان اليوم يرى هذا الاعصار الفوضوي ساوي يحيق بالانسانية و يدمر كيانها و يسحق يتها، آلية طاغية عارمة حولت الانسان الى آلة

وسحقت كل تجارب الروح والوجدان، وجماعية صماء قضت على كل مطمح بالتفرد والنبوغ والتفوق والابداع واختلال رهيب بين كفتي المادة والروح.

وعزلة غريبة مضنية ازاء عالم أصم لا يستجيب لتوسلاته، وسقوط وتهافت في سائر النظم الوصفية السياسية والاجتماعية والعسكرية التي تمسك بزمام العالم اليوم، بالاضافة الى الخوف العالمي من الدمار والحروب والقنابل الذرية (٦)، وميكافيلية تضحي في سبيل المصلحة بكل خلق وقيمة.

وكلمة اوسبورن (٧) الكاتب الانجليزي في مسرحيته (المسافر) هي خير تعبير عن حالة الانسان الغربي:

(نحن موتى، مكدودون، مضيعون، نحن سكيرون مجانين نحن حمقى، نحن تافهون).

كل هذا نتيجة :ـ

١ـ الفراغ الهائل بعد نبذ الدين نهائيا من الحياة.

٢ـ العزلة عن الاسلام والمجتمع والحياة الفردية القاتلة.

٣ـ فقد المثل الاعلى في الحياة والهدف من العيش.

(١) انظر كتاب فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر د ـ عماد الدين خليل ص ـ ١٢٠ ـ ١٢١.
(٢) فوضى العالم ص ـ ٣٢ ـ
(٣) فوضى العالم ص ـ ١٥٥ ـ
(٤) فوضى العالم ص ـ ١٣٥ ـ .
(٥) انظر كتاب دراسات في الفلسفة المعاصرة د ـ زكريا ابراهيم ـ القاهرة سنة ١٩٦٨ وكتاب المذاهب الوجودية لـ ريجيس جوليفيه ترجمة فؤاد كامل.
(٦) بتعرف عن كتاب فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر ـ ص ١٠٩ـ
(٧) فوضى العالم ـ عماد الدين خليل ص ـ ٤٩ ـ ولقد حضر مسرحية (انظر وراءك بغضب) ستة ملايين وسبعمائة وثلاثة وثلاثين ألف شخص).